رؤى تربوية

مركز القطان للبحث والتطوير التربوي

نشرة دورية تصدر 4 مرات سنوياً عن مركز القطان للبحث والتطوير التربوي - رام الله - فلسطين

العدد الثاني - أيلول 2000

في هذا العدد

- مع المعلمة : كوثر عطية
- كلام في التجربة الذاتية
- اللغة والتفكير
- التقويم في مدارسنا.... إلى أين؟
- أوراق عمل في العلوم
- البحوث الإجرائية في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي
- معلمة تكتب تجربتها في مجال البحث الإجرائي
- من أجل تلبية حاجات كل المتعلمين
- معلمون رواد
- من الأدب التربوي .. مرض الاختلاف

فريق التحرير:

المحرر المسؤول: د. فؤاد المغربي (مدير المركز)

مدير التحرير: وسيم الكردي (المنسق)

هيئة التحرير: عبد الرحيم الشيخ، ليانا جابر، عماد غياظة، رائد شماسنة، عزمي شنارة، مها قرعان، موسى الخالدي، نادر وهبة، دعاء جبر

الافتتاحية

الأسئلة في مجالها التربوي!

إن كل شخص يعمل في مهنة التعليم سواء أكان أبا أم أما يدرك جيدا، دون حاجة للتعليل، بأن الأطفال ما قبل سن المدرسة، يثيرون الكثير من الأسئلة؛ أسئلة الاستكشاف، والفضول، والتعرف، أسئلة تتمحور حول القضايا الصغيرة، وأسئلة أخرى حول المسائل الكبرى المتعلقة بالكون والحياة، أسئلة لا يوجد أمامها محظورات أو ممنوعات، أسئلة لا تتردد في أن تجد طريقها إلى القول، لا يمنعها منطق ما! أو رؤية ما! أو تقاليد ما! أسئلة لا تتورع في أن تطرح قضايا نخاف أو نرتبك أو نتلكأ، نحن الكبار، في كثير من الأحيان من أن نسألها، أسئلة كثيرة، ربما كنا سألناها حينما كنا صغارا ثم أخذنا في حشرها في زاوية ضيقة إلى أن أخذت بالانحسار والتلاشي والذبول، ولم تعد قائمة؛ أسئلة تقترب من الفلسفة: من أين جئتُ؟ وكيف ولدتُ؟ ومتى أكبر؟ وهل سأموت؟ ولماذا يموت الناس؟ ولماذا تطير الطيور؟ ولماذا لا نستطيع الطيران؟ وما معنى هذه؟ وما معنى تلك؟؟!! وكيف حدث هذا ؟!! و..و..و.. فكل شيء مطارد بسؤال أو متبوع بأسئلة، فيتحرك الذهن، ويتقد. أسئلة تبحث، وتنبش في المألوف وفي الخفي والمختفي والمخفي، أسئلة تجد مشروعيتها في براءتها، وفي طبيعيتها وصفائها.

وتزداد الأسئلة بقصد التعرف، وبقصد المعرفة، فتتناول كل ما يلاحظ الأطفال ويشاهدون في المحيط الذي يحيون فيه، وتتكاثر الأسئلة كلما مرّ يوم جديد على الطفل. وما يكاد يصل الخامسة أو السادسة حتى تبدأ الأسئلة بالتراجع والانحسار؟ وتبدأ المسلمات والإجابات الجاهزة الملقنة تغزو رأسه وتحل مكان أسئلته. انه الانتقال من الأسئلة إلى الأجوبة؟ وهنا يصبح التفكير نمطيا عاديا تكراريا مملا رتيبا... . وحينما تختفي الأسئلة يحل الخمول والتجمد والتقبل والبلادة. وإذا ما أبقيت بعض الأسئلة، فإنها تغدو ملوثة، ولا تغدو أسئلة المغامرة بل أسئلة اقتضتها تقاليد التعليم ليس إلا.

وحينما نواجه بأسئلة صغارنا هذه، فإننا في كثير من الأحيان نمتصها أو نتجاهلها، وفي أحيان أخرى لا نتردد في تحذير الصغار من إعادة سؤالها. أو نحيلهم إلى إجابات خرافية أو موارية؛ فهي أسئلة قد تحاول اختراق محظورات اعتدنا عليها، ودجنت تفكيرنا، فلم نعد نطرحها؛ أسئلة، ربما،

تتجاوز منظومة القيم والمفاهيم والعلاقات التي حشرنا أنفسنا فيها، ولذا فإن دورنا، أمام هذه الأسئلة، يغدو منحصرا في معظم الأحيان على تكريس الإجابات الغامضة أو المخادعة، وهنا ندخل الأطفال شيئا فشيئا في منظومة تختفي فيها الأسئلة، وتكرّس فيها إجابات من نوع ما.

وما أن يدخل الطفل إلى المدرسة، تكون أسئلته قد قلّت كثيرا، وبدأ يعتاد على نظام جديد، فيه يسأل الأستاذ، وعليه هو أن يجيب، أسئلة، في غالب الأحيان، اختبارية، أسئلة تلهث وراء المعلومات، أسئلة تلهث وراء إجابات يريدها المعلم، فإذا انزاحت الإجابات قليلا أو كثيرا عن «مجالها» فإن ذلك يقع في باب الخطأ. ومع الوقت يبدأ الخيال، الذي كان محفزا للأسئلة في مرحلة الطفولة المبكرة، بالانحسار، وتضيق دائرته، ويُشنق على حبال الحفظ والتلقين والاختبارات.

في المدرسة تبدأ «الحقائق» بالانهيال على الطلبة. في المدرسة تختفي أسئلة التفكير لتطفو أسئلة الحفظ والاستظهار، وتقيؤ الإجابات كتابة وشفاهة، في المدرسة يختفي صوت الطالب ليحل مكانه صدى الشارح والمفسر والملقن، في المدرسة يتألق الحشو، في المدرسة تنفتح آلة التشريح/التقييم، وَحَدُّها العلامة، تحزُّ الطلاب، تصنفهم، ترفعهم وتخفضهم، تعاقب وتثيب، ترهب وترغب. في المدرسة يصبح المعلم حقيقة منزهة، وان لم يكن كذلك، فهو مالك النجاح والرسوب، بيديه الإبقاء والإقصاء.

هل هناك نظام تربوي لا تقيمه مجزرة قمع الأسئلة؟؟؟! أشك في ذلك.

فهل يستطيع النظام التربوي أن يؤسس لهامش ما من الحرية، فيمنح «المتعلم» فرصة لكي ينهض بنفسه، ويبقي له مساحة من الحرية يستطيع من خلالها معاودة الأسئلة.

فهل يتجرأ أي نظام تربوي على التغاضي عن «سيئات» انفتاح فضاءات السؤال: الشرط الأول للمعرفة؟! أشك في ذلك أيضا، فالمسالة تحتاج إلى عقلية أخرى، فهل هي ممكنة؟!

وسيم الكردي